



ذ. حميد السراوي

سلك الدكتوراه : وحدة الدرس القرآني
والعمران البشري كلية الآداب مكناس

فريد الأنصاري رحمه الله : الأستاذ المربي

حظيت بعناية خاصة في تأليفه، بل إن رسالته الجامعية أطروحة في الإصلاح و التربية.

ويعد مشروع مجالس القرآن إحدى أهم الوسائل التربوية التي عول عليها الأنصاري رحمه الله من أجل إشاعة الوعي، وإحياء الأمة وتربية الشباب على هدى القرآن، فالرجل كان له مشروع إصلاحي أسس معالمه النظرية من خلال بعض إصداراته كالفطرية، ومفهوم العالمية، ومجالس القرآن...

وكان رحمه الله شديد العزم على إصلاح أحوال مدينة مكناس، وإحياء مكانتها التاريخية وجعلها حاضرة علمية، وذلك بتأطير الطلبة علمياً وتربوياً، والنهوض بالمساجد من خلال مشروع الكراسي العلمية، ومجالس القرآن.

وهذه بعض معالم المشروع التربوي للأنصاري رحمه الله :

1- القرآن الكريم منطلق الإصلاح : تنظيراً وتأسيساً وتربية.

2- الأولوية للمسألة التربوية على باقي الملفات والقضايا.

3- العمل على تداول المجتمع للقرآن عن طريق مجالس القرآن، وتحقيق رسالة القرآن في تدبير المجتمع، وتأسيس العمران لذلك اتجه مشروعه من القرآن إلى العمران إلى تعزيز ذلك وتحقيقه.

إن سيرة الأنصاري رحمه الله تمتلئ بكثير من العبر والعظات للدعاة، لذا ينبغي الاستفادة منها، ومن أهم ما ينبغي الوقوف عنده تلك الصفات التي تميز بها مثل الصدق والتواضع والحلم، والتي أسهمت كثيراً في إقبال الناس عليه ودفعتهم إلى العناية بكتباته والعمل بنصائحه وتوجيهاته.

ثم إن سيرته في حاجة إلى دراسة وافية من جانب العلماء والدعاة والمصلحين، فسيرته تضم شروط النجاح وقواعد التواصل، وسر القبول.

رحم الله فريد الأنصاري وأسكن روحه فسيح الجنان آمين.

إن فريد الأنصاري رحمه الله يعتبر مدرسة في العلم والأدب والخلق ويمكن أن نجمل بعض معالم منهجه في التعليم والتدريس فيما يلي :

1- ربطه لقضايا التدريس والتعليم بالبعد التربوي الإصلاحي

2- بعث وتجديد مفاهيم القرآن واعتباره الميزان لإصلاح الزمان وتعمير الأرض والكون العمران الحقيقي.

3- اعتماد أسلوب البيان العام المناسب لجميع الفئات

4- التركيز على الأصول قبل الفروع، والكليات قبل الجزئيات ونظم ذلك بعضه ببعض.

يرجع السرفي إقبال هذا الحشد الكبير من الناس إلى تميز خطابه بوضوح

العبارة وسلاسة الأسلوب، والنفاذ إلى عقل وقلب السامع والتأثير فيه، كيف لا وقد أوتي ملكة

الشعر وسحر البيان، وكنا نعجب لموهبته في تبسيط المعقد، وتقريب البعيد، وضرب المثال

وربطه بالواقع المعاصر

5- ربط قضايا البحث العلمي بإشكالات العصر والواقع من باب جعل العلوم وقضايا البحث فيها مرتبطة بخدمة المجتمع والإنسان.

بقيت مسألة في غاية الأهمية نود الحديث عنها بخصوص هذه الشخصية الفريدة فعلاً، فنقول هل عرف الأنصاري رحمه الله بالتدريس والبحث الأكاديمي فقط؟

إن الرجل لم يعرف بالتدريس الأكاديمي البحث، بل جمع في أسلوبه بين التدريس والتربية، فقد كان الطلبة والباحثون يجدون فيه نموذج الأستاذ المربي، والداعية الناجح، إذ تنوعت أنشطته منسجمة مع هدف الإصلاح والتربية لتشمل المحاضرة والوعظ والإرشاد، والكراسي العلمية ومجالس القرآن.

ثم إن قضايا التربية والإصلاح

منقطع النظير، إذ في كثير من الأحيان كنا نتابع محاضراته ونحن واقفون لا نجد لنا مكاناً نجلس فيه.

ويرجع السر في إقبال هذا الحشد الكبير من الناس إلى تميز خطابه بوضوح العبارة وسلاسة الأسلوب، والنفاذ إلى عقل وقلب السامع والتأثير فيه، كيف لا وقد أوتي ملكة الشعر وسحر البيان، وكنا نعجب لموهبته في تبسيط المعقد، وتقريب البعيد، وضرب المثال وربطه بالواقع المعاصر.

إضافة إلى امتلاكه رحمه الله لأدوات التدريس وطرائق التعليم التي ساعدت كثيراً في التواصل مع القطاع العام من

الناس، فإنه رحمه الله أوتي حظاً وافراً من حسن الخلق -ومن اجتمع له العلم والخلق فذلك هو العز والسبق -، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد عرف الشيخ فريد الأنصاري بأدب عال وخلق رفيع، وذلك أحد الأسباب التي جعلت الناس يقبلون عليه، ويتنادون لحضور خطبه، ويتزاحمون لسماع مدارساته، فبلغ صدى هذا الخلق الرفيع الأفاق ليؤثر تأثيراً قوياً في الطلبة الوافدين من العالم الإسلامي كموريتانيا ومالي وليبيا واليمن وتركيا اندونيسيا، فالطالب الوافد إذا حل بمكناس أول ما يسأل يسأل عن الشيخ فريد، وهم في ذلك يشهدون له بالعلم والتواضع والأدب، وأحسب أن أهم صفة ملك بها قلوبهم التواضع ولين الجانب، والجمع بين العلم والحلم. فكان رحمه الله مضرب المثل في ذلك.

وداعاً أيها الرجل أيها الرجل الصادق، وداعاً يا من لم يقعه المرض عن دعوة الناس والجلوس للتعليم في حلقات يحضرها القاصي والداني، نودعك وعيوننا تذرف الدموع، وألسنتنا تلهج بالدعاء، ونقول ما يرضي الرحمان. هكذا ودعت مدينة مكناس، بل المغرب والعالم الإسلامي قاطبة الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله عن عمر يناهز 49 سنة، الذي حضره الأجل بإحدى مستشفيات تركيا.

ومن تابع مراسيم تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير وحضور الآلاف من محبيه في هذا الموكب الخاشع، يدرك مكانة هذا الرجل في قلوب الناس، حيث لم يبخل عليهم بعلمه ودعوته ونصحه، وقد عرفوه محاضراً في الندوات، وخطيباً على المنابر، ومعلماً ومربياً في حلق ومجالس القرآن، فكان له رحمه الله الأثر الكبير في التعليم والتوجيه والإرشاد.

إن قضاء التعليم والتدريس كان من أهم المجالات التي اشتهر فيها الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله، وكان التدريس قناة التواصل مع الطلبة والباحثين والدارسين، ونظراً لتمكن الشيخ من مادته العلمية والمنهجية وموهبته الفريدة في التدريس وكذا طريقة تواصله اللطيف والقاصد مع المتلقي، فقد أدى كل ذلك إلى إقبال كبير للطلبة على محاضراته وندواته، بل تعدى الإقبال الطلبة ليشمل عموم المجتمع من التجار والحرفيين ذوي التكوين المتوسط ومن المثقفين والأكاديميين، فيأتون من أحياء المدينة وضواحيها إلى الكلية ليتابعوا محاضراته، فتعرف المدرجات ازدحاماً

أيام مع أبي أيوب الأنصاري الأستاذ المربي

أبو محمد أمين قدوري عبد الجليل

الغرباء لا يعرف فيه إلا المنكر، ولا ينكر فيه إلا المعروف... أيها الغريب يكفيك أنك دخلت في حديث المصطفى ﷺ : «فطوبى للغرباء يصلح ما أفسد الناس من سنتي...»

ويكفيك أنك كنت من أهل القرآن ومع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته....

ويكفيك أننا لآزمنك في مرحلة الطلب في الجامعة، وأجبنك، لتواضعك وعلمك، وكنت تقف معنا كأنك واحد من تسمع لكلامنا، وتفرح لأفكارنا

كنت نعم الموجه في مسيرتنا الطلابية ولا زالت كلماتك حول "الوثن (1) أو طم" ترن في سمعي، ونحن لا ننسى -حبيبنا فريد- محاضراتك في الفقه والأصول والمقاصد والبيوع فلا زلت أتذكر حروفها وأمثلتها... ولا زلنا نتذكر خطبك التي

إن أي أمة من الأمم والدول عندما تفقد أحد رجالها الأفاضل العظام، تخصص له حيزاً كبيراً في إعلامها، مسموعاً كان أو مرئياً أو مقروءاً... إنها الدول التي تحترم نفسها، لأنها تعتقد اعتقاداً جازماً أن الرجال لا يعرفون إلا عندما يموتون، لأن بفقدانهم تحس الأمة بانطفاء مصباح من مصابيحها التي تضيء لها الطريق نحو الغد الأفضل والمشرق.

تصور -في مغربنا الحبيب- لو أن فنانا (مغنياً كان أو راقصاً أو ممثلاً...) من الغرب أو الشرق مات، لخصص له إعلامنا صفحات من جرائده، ولتكلّم عنه بإطناب وإسهاب لغرسه في عقولنا وقلوبنا، ترى ماذا قدم؟ كلمات نابية؟ حركات لأخلاقية؟ لقطات شهوانية شيطانية؟ ليس الكل...

لكن همست في أذن حبيبي وأستاذي المشمول برحمة الله تعالى فريد الأنصاري وقلت : نم قرير العين يا فريد فإن صورتك الربانية الزاهدة لم تتلخخ في صحفهم، وإن اسمك الفريد لم يحتك بكلماتهم النابية الدنيئة، فتلك كرامة وأنعم بها من كرامة... فإننا في زمن

بالمسؤولية الملقاة على عاتقك، وأحس قلبك بقرب الرحيل كم كنت أحدث الناس بذلك عند صدور بعض الكتب التي انتقد فيها الحركة الإسلامية. نعم لقد أحس القلب بالرحيل فأبى إلا أن يخرجها مدوية إلى عموم الناس لبيان الدعوة القرآنية الفريدة ونقد الأخطاء المنهجية لدى العاملين في الحقل الإسلامي...

نعم لقد كانت كلماتك الأخيرة عن العمر وفلسفته نعيماً لك ولنا دون أن نشعر ولا أن نشعر!! إيذاً بقصر عمرك الطولي، وطول عمرك العرضي... أقول لك حبيبي فريد لقد عشت الزمن العرضي بكل تجلياته... فأنت ستبقى في ذاكرة كل باحث وكل داع وكل مربي...

نم قرير العين أيها الفريد المربي المعلم الواعظ. العالم العامل زادك الله بذلك منزلة ودرجة عالية مع النبيئين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً...

1 - كلمة كان يردها الفقيد، لكثرة تعلق الإخوان بهذا الإطار إلى درجة الوثنية الفكرية لا العقيدية.